

## المقابر ومحارق الجثث إنشاء فضاءات عامة شاملة في ماستريخت



أعله: قبر أرمني، مقبرة تونغرسيفغ  
(Tongerseweg)، يونيو 2020 (تفاصيل)،  
صور ملتقطة من مارسك وستندورب.

تُعدّ المقابر ومحارق الجثث فضاءات عامة وأماكن خدمات مهمة لخدمة CeMi جميع المواطنين مثلما اتضح أثناء جائحة كوفيد-19. ويدرس مشروع المقابر ومحارق الجثث في 8 بلديات متوسطة الحجم في 6 بلدان وهي: أيرلندا، لوكسمبورغ، هولندا، النرويج، إسكتلندا، السويد. وتضم كل بلدية أقليات عرقية ومجتمعات دينية مستقرة فيها منذ وقت طويل ومهاجرين جدد. وقد تحادث الباحثون مع المشرفين على المقابر ومحارق الجثث في البلديات، وأيضاً المجتمعات والمجموعات الدينية. ويُؤمل أن تساعد التعقيبات على تحسين فهم الممارسات الثقافية وتسريع الحوار بين الجهات الحكومية المختصة محلياً والمجتمعات، من أجل إرشاد أعمال التخطيط المستقبلية محلياً ودولياً.

”يُفضل الأشخاص الدفع مرة واحدة ونهائية للحصول على حقوق القبر الثابتة، غير أن بلدية ماستريخت لا تتيح هذه الإمكانية. ولو تقدمها، فإنها ستكون مُكلفة نوعاً ما أي حوالي 10.000 يورو ككل. وهذا المبلغ مرتفع للغاية بالنسبة لنا. (...) عندما عرفت لأول مرة الأسعار المطبقة، قلت في قرارة نفسي ”كيف يتجرأ المرء على استغلال إنسان متوفى بهذه الطريقة؟“.

مهاجر مغربي

## المشكلات والتحديات

يدرك صناع السياسات في البلدية هذه الضغوط المتعلقة بالخدمات الجنائزية وقد قدموا مقترحات بشأنها. ومثل العديد من البلديات الهولندية الأخرى، فإن الإمكانيات المالية تظل محدودة بموجب قانون الدعم الاجتماعي لسنة 2015. وتوجد خطط لتحسين فعالية التكلفة لمقبرة تونغرسفيغ (Tongerseweg). غير أنه وبالنظر إلى حجمها وعدد سكانها، من الصعب على بلدية ماستريخت تخصيص خدمات لفئات المهاجرين والأقليات قليلة العدد المستقرة في هذا المكان منذ وقت طويل.

وعلى وجه الخصوص:

- تبلغ نسبة السكان الأصليين %66.91 وهو عدد كبير، وإضافةً إلى ذلك تؤدي معدلات حرق الجثث المرتفعة لدى هذه المجموعة إلى ضغط مالي إضافي على الخدمات الجنائزية البلدية.
- لا تمارس فئتا المهاجرين والأقليات الأكبر في هذه المدينة (من ألمانيا وبلجيكا) طقوساً مختلفة عن بعضهما بما يتطلب تخصيص خدمات جنائزية. وتأتي أكبر ثالث أقلية من إندونيسيا وهذه المجموعة تستفيد من خدمات مخصصة في ”ركن جزر الملوك“ في مقبرة بوفنس (Bovens) - قرية هير.
- بناءً على فعالية التكلفة التي تريد تحقيقها، قد تطبق البلدية أسعاراً مرتفعة لا يمكن لأفراد المجموعات الدينية دفعها من أجل الحصول على حقوق القبر الثابتة (المسلمون مثلاً)، وبالتالي يتوجه هؤلاء إلى مكان آخر.
- تشعر مختلف الجاليات التي تستخدم الخدمات الجنائزية لبلدية ماستريخت بأن هذه العملية تتم في إطار كاثوليكي روماني غير معلن، وبالتالي يُؤمل أن يكون هناك انفتاح أكبر.

وقد صرح لنا عضو في الكنيسة الخمسينية بما يلي ”أعتقد أنهم يجهلون بكل بساطة الطقوس المطبقة في المذاهب أو الديانات الأخرى. أغلب الناس هنا ينتمون إلى طائفة الروم الكاثوليك وهذا الأمر يمكن ملاحظته بوضوح من خلال ناقلي الجثث ومتعهدي دفن الموتى. وعلى المرء أن يخبرهم في كل مرة بضرورة قلب التابوت. وأنا أقول دائماً في قرارة نفسي إنه عليهم أن يكتسبوا معارف أكثر بشأن الديانات الأخرى“.

## الموقع

ماستريخت هي عاصمة إقليم ليمبورغ وأكبر مدينة في هذا الإقليم الذي يقع في أقصى جنوب هولندا. وهذه المدينة معروفة من خلال معاهدة ماستريخت وتتميز بجاذبيتها الكبيرة للسياح والطلاب من مختلف أنحاء العالم. وبعد أن ضمت ماستريخت عدداً من القرى التي كانت مستقلة بذاتها في الماضي، فإن عدد المقابر غير البلدية (الدينية والتجارية) زاد إلى حد كبير على تراب البلدية، إضافةً إلى المقبرة التاريخية تونغرسفيغ (Tongerseweg). وباعتبارها بلدية حضرية تابعة للإقليم، فإن ماستريخت تتمتع بتنوع سكاني، إلا أن عدد أفراد مختلف المجموعات المهاجرة والأقليات يظل قليلاً ويمثل السكان الأصليين أكثر من ثلثي مجموع عدد السكان.

## سكان ماستريخت - الترتيب حسب البلد الأصلي للسكان (1 يناير 2021)

هولندا	66.91%
ألمانيا	5.32%
بلجيكا	3.67%
إندونيسيا (جزر الملوك)	2.30%
المغرب	1.41%
إيطاليا	1.35%
تركيا	1.34%
الاتحاد السوفياتي (سابقاً)	1.08%
المملكة المتحدة	0.92%
الصين	0.90%
إسبانيا	0.87%
الولايات المتحدة الأمريكية	0.83%
سوريا	0.79%
بولندا	0.74%
فرنسا	0.66%

المصدر: opendata.cbs.nl





في اتجاه عقارب الساعة من أعلى اليسار:

تتميز مقبرة تونغرسفيغ (Tongerseweg) بأنها راسخة في ثقافة وجماليات طائفة الروم الكاثوليك التي تشكل الأغلبية في هذه البلدية (يوليو 2019، ماريك وستندورب).

وبالتالي من الصعب للغاية توفير فضاءات بنفس الجاذبية للثقافات الأخرى. وأحياناً لا تكون الحلول التوفيقية مفعنة تماماً. فمثلاً تشغل قبور المسلمين موقعاً معاكساً للمسار العام كي تكون موجهة نحو مكة (يوليو 2019، كريستوف بيدان).

وقد يكون من الأسهل إدماج مجموعات المهاجرين والأقليات في مقابر لديها تاريخاً أملاً ثقلاً: مثلاً "ركن جزر الملوك" الذي يعتبر مكان دفن مهم للأقلية الإندونيسية في ماستريخت، وهو يقع في مقبرة بوفنس - قرية هير (يونيو 2020، ماريك وستندورب).

غير أن مقبرة تونغرسفيغ (Tongerseweg) يمكنها أن تفتح أكثر على قبور تتميز بجماليات "عبر معيارية" مثل قبور المسافرين التي تقع في مقبرة أوسترماس (Oostermaas) (يوليو 2019، ماريك وستندورب).

## أفضل الممارسات

- تفهم البلدية الحاجة إلى دعم السكان الأصليين من الفئات غير الدينية والأقل تمسكاً بالتقاليد بخدمات جنازية إضافية.

- يقدم الموقع الإلكتروني لمقبرة تونغرسفيغ (Tongerseweg) معلومات واضحة: إذ يُعلم الزائرون مسبقاً بالأشغال الوشيكة وأسبابها المنطقية. تُقدّم مقبرة نوورديبغرافبلااتس (Noorderbegraafplaats) خدمات مخصصة لقبور المسلمين.

- تتضمن هذه المقبرة مساحة مخصصة للقبور اليهودية والإسلامية.

- وفرت البلدية مرافق جنازية مخصصة للمهاجرين الجدد من الأقلية المسيحية الأرمنية، ومن المفترض أن يتم توسيعها.

**"لدينا علاقة جيدة حقاً مع رئيس المجلس المحلي الحالي - والسابق الذي نسيت اسمه. لقد توفي منذ مدة للأسف. أتذكر أنه قال لي يوماً "ألا تحتاجون إلى مقبرة خاصة بكم؟".**

رئيس الطائفة الأرمنية

## الحلول المقترحة

- لقد تبين من تجربة المقبرة الصينية في زفوله (Zwolle) أو المقبرة الإسلامية في زاودلارن (Zuidlaren)، أن الخدمات الجنائزية المخصصة قد تكون فعالة من حيث التكلفة إذا كانت لديها وظيفة إقليمية. ولاكتساب هذه الوظيفة أو الحفاظ عليها، ينبغي على مقبرة تونغرسفيغ (Tongerseweg) إعادة النظر في أسعار خدماتها وتقديم حقوق ثابتة فيما يتعلق بالقبر.
- يمكن توفير أشياء إضافية غير مُكلّفة من أجل تهيئة أجواء مريحة أكثر للأقليات، مثلاً: بوصلة تبين اتجاه مكة للمسلمين أو وعاء رماد للطقوس الصينية والهندوسية.
- فيما يتعلق بعدد كبير من الأقليات التي لديها طقوسا مختلفة ولكنها قليلة الأفراد، سيكون من الصعب تقديم خدمات مخصصة. وينبغي التفكير في إضافة "ميدان مفتوح" دون مسارات مستقيمة، مع عدم تحديد اتجاه القبور وزخارفها، مثلما هو الحال في مقبرة سلفيردرهوف (Selwerderhof) في مدينة غرونينغن. وبفضل ميدانها غير التقليدي، اكتسبت مقبرة تونغرسفيغ (Tongerseweg) خبرة في هذا الموضوع، غير أن موقع الميدان الحالي بعيد عن المدخل ويمكن تحديثه بصريا ووظيفيا. وينطوي ميدان كهذا على إمكانيات جيدة لاستيعاب متوفين من مختلف المجموعات العرقية والدينية، وقد يكون جذابا أيضاً للسكان الأصليين من مجتمعات ما بعد المسيحية أو الفئات المسيحية غير المتمسكة بالتقاليد.
- ينبغي أن يتواصل المشرفون على المقابر وصناع السياسات في البلدية والسياسيين أكثر مع قادة الأقليات من أجل فهم الاحتياجات الجنائزية للمجتمعات غير الكاثوليكية (ما بعد الكاثوليكية) بشكل أفضل.

## أمثلة عالمية ووطنية عن أفضل الممارسات

- بالرغم من أنها تواجه نفس الضغوط المالية التي تعرفها ماستريخت، إلا أن ليوواردن اختارت تقديم الخدمات الجنائزية البلدية بفعالية أقل من حيث التكلفة (74%)، وبالتالي فإنها حافظت على القدرة التنافسية لأسعارها. وهذا الأمر يساعد فئات المهاجرين وعائلات الأقليات الضعيفة مالياً.
- بفضل الأشياء الإضافية منخفضة التكلفة مثل البوصلات التي تبين اتجاه مكة أو مظلة للطقوس الإسلامية، تقدم مقبرة نووردريغرافبلااتس (Noorderbegraafplaats) في ليوواردن قيمة مضافة لمستخدمي المقبرة من المسلمين.
- في لوكسمبورغ، تدفع خطة التأمين الصحي العام "منحة جنازة" كافية لتنظيم جنازة بسيطة.
- في بعض المقابر مثل كراننبورغ (Kranenburg) في زفوله وسلفيردرهوف (Selwerderhof) في مدينة غرونينغن وسانت إسكيل (إسكيلستونا - السويد)، يُظهر العدد الكبير من اللافات وجود التنوع ويقدم للزائرين معلومات مفيدة.

## المؤلفون

كريستوف بيدان (جامعة غرونينغن)، ماريسك وستندورب (جامعة غرونينغن)، إيريك فينبروكس (جامعة رادبود نايميخن).

## مزيد من المعلومات على الموقع الإلكتروني

[www.cemi-hera.org](http://www.cemi-hera.org)